

حياة أعظم الرسل

صِفَاتُ الرَّسُولِ ﷺ

# صِفَاتُ الرَّسُولِ

كَرَمُ الرَّسُولِ :

لَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ مِثْلٌ فِي كَرَمِهِ ؛  
فَإِنَّهُ لَمْ يُسَأَلْ عَنْ شَيْءٍ ، فَقَالَ لَا . وَكَانَ  
أَكْرَمَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ ، وَأَجْوَدَ ( وَأَكْرَمَ )  
مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ .

وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ  
جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَقَالَ :  
أَسْلِمُوا ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ  
لَا يَخَافُ فَقْرًا . وَأَعْطَى أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ

مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ( الْجِمَالِ ) .

وَذَاتَ يَوْمٍ حُمِلَ إِلَيْهِ تِسْعُونَ أَلْفَ  
دِرْهَمٍ ، فَوُضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ ثُمَّ قَامَ  
يُقَسِّمُهَا ، فَلَمْ يَرُدَّ سَائِلًا حَتَّى انْتَهَى  
مِنْهَا .

وَفِي يَوْمٍ أُتِيَ بِمَالٍ لِلرَّسُولِ مِنْ  
الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالَ : ضَعُوهُ . وَكَانَ أَكْثَرَ  
مَالٍ أُتِيَ بِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى  
الْمَسْجِدِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْمَالِ ، فَلَمَّا  
انْتَهَى مِنَ الصَّلَاةِ جَلَسَ إِلَيْهِ ، فَكَانَ يُعْطَى

كُلِّ مَنْ رَأَاهُ . وَلَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ  
وَالسَّلَامُ حَتَّى انْتَهَى مِنْ تَوَزِيعِهِ كُلَّهُ عَلَى  
الْمُحْتَاجِينَ .

وَذَاتَ مَرَّةٍ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ ،  
وَمَعَهَا بُرْدَةٌ ( وَهِيَ كِسَاءٌ أَسْوَدُ مَرْبَعٌ  
صَغِيرٌ يَلْبَسُهُ الْأَعْرَابُ ) ، فَقَالَتْ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْسُوكَ هَذِهِ الْبُرْدَةَ .  
فَأَخَذَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْتَاجٌ  
إِلَيْهَا ، فَلَبِسَهَا ، فَرَأَاهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ، فَقَالَ  
مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْبُرْدَةَ ! فَأَعْطَنِي إِيَّاهَا  
يَا رَسُولَ اللَّهِ .



فَقَالَ نَعَمْ ، وَأَعْطَاهُ الرَّسُولُ الْبُرْدَةَ ،  
مَعَ أَنَّهُ كَانَ فِي حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَيْهَا . وَلَمَّا  
قَامَ الْمُصْطَفَى لَمْ أَصْحَابُهُ هَذَا السَّائِلَ ،  
وَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحْتَاجٌ  
إِلَيْهَا ، وَأَنَّهُ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَمْنَعُهُ .  
وَذَاتَ يَوْمٍ أَعْطَتْهُ امْرَأَةٌ ثَوْبًا كَانَ فِي  
شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ طَلَبَ إِلَيْهِ  
أَحَدُ النَّاسِ شَيْئًا يَصْلُحُ لِأَن يَكُونَ كَفْنًا  
لِمَيِّتٍ ، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ الثَّوْبَ ، وَهُوَ  
مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْإِحْتِيَاجِ .

## ذِكَاؤُ الرِّسُولِ

إِنَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ أَحَادِيثَ الرِّسُولِ ،  
وَتَدْبِيرَهُ لِلْأُمُورِ ، وَمَا أَفَادَهُ مِنَ الْعِلْمِ ،  
وَهُوَ أُمِّيٌّ لَمْ يَقْرَأْ ، وَلَمْ يَكْتُبْ ، وَلَمْ  
يَطَّلِعْ عَلَى الْكُتُبِ الَّتِي أَلْفَتْ ، وَلَمْ يَتَعَلَّمْ  
فِي مَدْرَسَةٍ — لَا يَشُكُّ مُطْلَقًا فِي أَنَّهُ كَانَ  
أَذْكَى النَّاسِ ، وَأَحْسَنَهُمْ عَقْلًا ،  
وَأَقْوَاهُمْ فَهْمًا . وَلَا عَجَبَ ؛ فَقَدْ أَرْشَدَ  
تِلْكَ الْأُمَّةَ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ ،

حَتَّى أَحَبَّهُ كُلُّ الْحُبِّ ، وَأَعْجَبَتْ بِهِ كُلُّ  
الْإِعْجَابِ ، وَفَدَّتْهُ بِأَرْوَاحِهَا وَأَنْفُسِهَا .

### التَّفَانِي فِي مَحَبَّةِ الرَّسُولِ

قِيلَ إِنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قُتِلَ أَبُوهَا  
وَأَخُوهَا وَزَوْجُهَا يَوْمَ أُحُدٍ ، فَأَخْبَرُوهَا  
بِذَلِكَ .

فَقَالَتْ : مَاذَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

قَالُوا : بِحَمْدِ اللَّهِ هُوَ كَمَا تُحِبُّينَ .



قَالَتْ : أَرُونِي إِيَّاهُ حَتَّى أَنْظُرَهُ .  
فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ : كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ  
صَغِيرَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

### حَيَاءُ الرَّسُولِ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً .  
وَكَانَ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ ، حَيَاءً  
وَكَرَمَ نَفْسٍ . وَكَانَ مِنْ حَيَائِهِ لَا يُثَبِّتُ  
بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ . وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا  
ذَكَرَهُ بِطَرِيقٍ فِيهِ أَدَبٌ وَحَيَاءٌ .



## حُسْنُ عِشْرَتِهِ وَأَدَبُهُ

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْسَعَ  
النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَصْدَقَ النَّاسِ حَدِيثًا ،  
وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً . يُحَبِّبُ النَّاسَ وَلَا  
يُنْفِرُهُمْ ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ ،  
وَيَجْعَلُهُ رَئِيسًا مَسْئُولًا عَنْهُمْ ، يَنْظُرُ إِلَى  
أَصْحَابِهِ ، وَيُعْطِي كُلَّ مَنْ يَجْلِسُ مَعَهُ  
نَصِيْبَهُ ، لَا يَظُنُّ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ  
عَلَيْهِ مِنْهُ . كَانَ أَبَا لِلنَّاسِ ، وَصَارُوا عِنْدَهُ  
فِي الْحَقِّ مُتَسَاوِينَ . وَكَانَ دَائِمَ الْبِشْرِ

( يُقَابِلُ كُلَّ إِنْسَانٍ بِوَجْهِ حَسَنٍ )  
سَهْلَ الْخُلُقِ ، لَيِّنَ الْجَانِبِ ، لَيْسَ بِفَظٍّ .  
يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يُحِبُّ ، وَيُجِيبُ مَنْ دَعَاهُ ،  
وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ ، وَيُكَافِي عَلَيْهَا .

قَالَ أَنَسٌ : خَدَمْتُ الرَّسُولَ عَشْرَ  
سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي أَفٍّ قَطُّ . وَمَا قَالَ  
لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَاذَا صَنَعْتُهُ ، وَلَا لِشَيْءٍ  
تَرَكْتُهُ لِمَاذَا تَرَكْتُهُ .

وَكَانَ يُمَارِحُ أَصْحَابَهُ ، وَيُحَادِثُهُمْ  
وَيَزُورُ الْمَرْضَى فِي آخِرِ الْمَدِينَةِ ، وَيَقْبَلُ

عُذْرَ الْمُعْتَذِرِ . وَكَانَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ  
بِالسَّلَامِ ، وَيَبْدَأُ أَصْحَابَهُ بِالمُصَافِحَةِ ،  
يُكْرِمُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَيَسْطُرُ لَهُ ثَوْبَهُ ،  
وَيَقْدِّمُ لَهُ الْوِسَادَةَ ( المِخْدَةَ ) الَّتِي تَحْتَهُ  
لِيَجْلِسَ عَلَيْهَا . وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ  
حَدِيثَهُ .

عَدْلُهُ وَأَمَانَتُهُ ، وَعِفَّتُهُ وَصِدْقُ حَدِيثِهِ :

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَعْدَلَ  
النَّاسِ ، وَأَكْثَرَهُمْ أَمَانَةً وَعِفَّةً ،  
وَأَصْدَقَهُمْ قَوْلًا مُنْذُ خُلِقَ . اعْتَرَفَ لَهُ



بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ . وَكَانَ يُسَمَّى الْأَمِينَ قَبْلَ  
 أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهُمْ  
 لَا يُكَذِّبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ  
 اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ . أَيْ يُكَذِّبُونَكَ مُكَابَرَةً  
 بِالسِّنَتِهِمْ ، وَيُنْكِرُونَ مَا هُوَ ثَابِتٌ فِي  
 قُلُوبِهِمْ . قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ  
 لِقُرَيْشٍ : كَانَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ غُلَامٌ أَصْدَقَكُمْ  
 حَدِيثًا ، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ  
 الشَّيْبَ فِي صِدْغَيْهِ ، وَجَاءَكُمْ بِمَا  
 جَاءَكُمْ بِهِ قُلْتُمْ سَاحِرٌ . لَا ، وَاللَّهِ مَا هُوَ  
 بِسَاحِرٍ .

وَقَدْ وَصَفَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِأَنَّهُ  
أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً ( لِسَانًا ) .

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدًا بِذَنْبٍ  
أَحَدٍ . وَكَانَ أَوْقَرَ النَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ ،  
كَثِيرَ السُّكُوتِ ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ  
حَاجَةٍ . وَكَانَ ضَحِكُهُ تَبَسُّمًا ، وَكَلَامُهُ  
فَصْلًا ( حُكْمًا ) . مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ  
وَحَيَاءٍ ، وَخَيْرٍ وَأَمَانَةٍ . أَدَبُهُ رَبُّهُ فَأَحْسَنَ  
تَأْدِيَهُ ، وَمَدَحَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى  
خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

## المُصْطَفَى يُحِبُّ النَّظَافَةَ

أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ مُغَبَّرَ الشَّعْرِ ، غَيْرَ  
مُنْتَظِمِ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ  
بِإِصْلَاحِ شَعْرِهِ فَفَعَلَ ، ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ  
النَّبِيُّ : أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا ( أَحْسَنَ ) مِنْ أَنْ  
يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ ثَائِرَ الرَّأْسِ ( غَيْرَ مُنْتَظِمِ  
الشَّعْرِ ) كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ ؟ « وَرَأَى الرَّسُولُ  
رَجُلًا عَلَيْهِ ثِيَابٌ قَذِرَةٌ ، فَقَالَ :  
« أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يَغْسِلُ ثَوْبَهُ ؟ »  
وَقَالَ الرَّسُولُ : « إِنْ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ



الطَّيِّبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، كَرِيمٌ  
يُحِبُّ الْكَرِيمَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوَادَ ،  
فَنَظِّفُوا أَفْنِيَّتَكُمْ<sup>(١)</sup> ، وَلَا تَشَبَّهُوا  
بِالْيَهُودِ .

فَالرَّسُولُ يُحِبُّ النَّظَامَ وَالنَّظَافَةَ ،  
وَحُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَالرَّائِحَةَ الطَّيِّبَةَ ،  
وَيَكْرَهُ سُوءَ النَّظَامِ ، وَالْوَسَاحَةَ  
وَالْقَذَارَةَ ، وَقُبْحَ الْمَنْظَرِ ، وَالرَّائِحَةَ  
الْكَرِيهَةَ .

وَالْإِسْلَامُ يَدْعُو إِلَى نَظَافَةِ الْجِسْمِ  
وَالْقَلْبِ ، وَنَظَافَةِ الْمَلَابِسِ ، وَالْبُيُوتِ

(١) فَنَاءُ الدَّارِ : مَا امْتَدَّ مِنْ جَوَانِبِهَا . وَالْجَمْعُ : أَفْنِيَّةٌ .

وَالطُّرُقِ . وَهُوَ ضِدُّ الْقَذَارَةِ ، وَالْقَاءِ  
الْفَضَلَاتِ فِي الشُّوَارِعِ فِي الْقُرَى  
وَالْمُدُنِ . فَالنَّظَافَةُ الَّتِي نُنَادِي بِهَا الْيَوْمَ  
نَادَى بِهَا الْإِسْلَامُ مُنْذُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا  
تَقْرِيْبًا .

### الرَّسُولُ فِي عَمَلِهِ

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ مَثَلًا عَالِيًا فِي  
حَيَاتِهِ ، يُخْلِصُ فِي عَمَلِهِ الْإِخْلَاصَ كُلَّهُ  
حِينَمَا يَعْمَلُ لِيَكْسِبَ عَيْشَهُ ، وَيَتَّجِهَ إِلَى  
اللَّهِ بِكُلِّ جِسْمِهِ وَقَلْبِهِ وَرَوْحِهِ حِينَمَا يَقِفُ  
أَمَامَ اللَّهِ لِلْعِبَادَةِ ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ .  
وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنُ  
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ .

وَقَدْ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِنَصِيحَتِهِ  
الذَّهَبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ : « اِعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ  
تَعِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ  
تَمُوتُ غَدًا » .

فَالْإِسْلَامُ يُنَادِي بِالْعَمَلِ لِلدُّنْيَا ،  
وَالْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ ، وَبِهَذَا الْمَبْدَأِ نَجَحَ  
الْمُسْلِمُونَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانُوا  
قَادَةَ الْعَالَمِ فِي الْأَفْكَارِ وَالْأَعْمَالِ .